دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

تأملات في أسبوع الآلام

- ١ -

من جمعة ختام الصوم إلى جمعة الصلبوت

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

تأملات في أسبوع الآلام

- ١ -

من جمعة ختام الصوم
إلى جمعة الصلبوت

الأب متى المسكين

المحتويات

أسبوع الآلام

⌘●✞●⌘

أسبوع الآلام أو أسبوع البصخة:

البصخة هي العبور أو الفصح، وهي مأخوذة من طقس خروف الفصح الذي بدمه عَبَرَ الملاك المهلِك على البيوت ولم يؤذِها (سفر الخروج ـ الأصحاح الثاني عشر).

إذن، فأسبوع البصخة ليس أسبوع آلام عقيمة أو آلام وحسب، بل آلام عبور، آلام فصحية، آلام تأخذ قوتها ونورها ووهجها من دم الحَمَل المذبوح على الصليب.

إذن، فنحن سوف نجوز معاً أسبوع آلام، ولكن آلام العبور بقوة دم يسوع من حياةٍ لحياة، ومن إيمانٍ لإيمان.

لابد أن يكون أسبوع الآلام أسبوعاً خالداً في سنتنا هذه، ننال به حياة أقوى وأفضل، فيه سنسمع مراراً وتكراراً كيف يكشف الرب لتلاميذه عن خطة حبِّه السرِّية التي صمَّم أن يُنفِّذها في نفسه طواعيةً عن حبٍّ صامتٍ مكتوم.

+ «ها نحن صاعدون إلى أورشليم، وابن الإنسان يُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة، فيحكمون عليه بالموت، ويُسلِّمونه إلى

الأمم...» (مت ٢٠:١٨و١٩)

لقد حزن التلاميذ، وبعضهم استنكر هذه الخطة، لم يدركوا عظمتها. ولكن ما رأيكم أنتم، أيها الأحباء، وقد أدركتم عِظَم الخلاص والحب الذي صار بهذه الخطة المباركة، خطة الصعود إلى أورشليم ليُسلَّم ابن الإنسان ويُهان ويموت؟ مَن الذي يسمع عن هذا السرِّ الإلهي، سر التسليم المطلق للآب ولا يشتاق أن يُتمِّمه؟ ومَن الذي لا يشتهي الآن أن يرسم نفس الخطة ويسير على آثار أقدام السيِّد في طريق الجلجثة؟

وإن كانت بدايتها الآلام والأحزان ونهايتها قيامة وبهجة ونور وقوة وصعود إلى السماء، فمَن الذي يجزع بعد ذلك أن يعبر أسبوع الآلام الفصحية مع المخلِّص؟ مَن الذي يتراجع ويستكثر الثمن المدفوع لهذا الخلاص العظيم. إنها خطة ناجحة مائة بالمائة، هيا نُتمِّمها معاً، كلٌّ في نفسه حسب طاقة حبِّه وإيمانه.

هيا نسير معاً على درب الصليب، ونكمل أسبوع آلام العبور. نتواعد بالمسيرة، ولكن في قلوبنا، وكلٌّ له مسيرته وله آلامه وله حبه؛ ولكن نعبر جميعاً ولا يتخلَّف أحد، كصفٍّ واحد مُسِحَت أعتاب أبوابنا العُليا بدم الحَمَل الواحد!! مسحة مقدسة بالروح والقوة. نعبر عبوراً اشتهيناه كل أيام حياتنا، عبوراً من وجه الملاك المهلِك، عبوراً من ظلمة جهل الخطية والجلوس حول قدور لحم الشهوة وعبودية فرعون، ومن السُّخْرة والمذلة، إلى النور والخلاص والعِتق بدم المسيح.

ما أمجدها آلاماً، وما أعظمه أسبوعاً فصحياً، ذلك الذي ننال فيه هذا العبور.

إذن، فلنجعلها آلامَ حبٍّ، آلاماً طوعية، نمزج دموعنا بخبزنا ونبلّل بها فراشنا. لا نُعطي فيها راحة لصدغنا ولا نعاساً مريحاً لأجفاننا، حتى نعبر، حتى نجوز وادي ظِل الموت، ويُشرق علينا المسيح بقيامته.

هو ثبَّت وجهه نحو أورشليم وصمَّم على الخطة. عرَّض وجهه للخِزي، وبَذَلَ ظهره للسياط. لم يرتدّ إلى الوراء حتى الذبح.

إذن، فقد فَتحَ لنا الطريق ورسم خطواته، وما بَقِيَ إلاَّ التنفيذ.

أردتُ ولم تريدوا

+ «كم مرة أردتُ أن أجمع أولادكِ كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا.» (لو ١٣: ٣٤)

■❖✞❖■

يشير الرب بهذا القول إلى المرات الكثيرة التي حاول فيها الله أن يجمع شعب إسرائيل إليه بحبِّه وحنانه بواسطة الأنبياء الذين أرسلهم مُبكِّراً ومؤخِّراً. ولكن كانت النتيجة دائماً، كما في مَثَل الكرَّامين، أنهم رفضوه وأهانوا كل مَن أرسلهم.

كذلك فالرب يشير بهذا الكلام إلى تعاليمه وآياته ولطفه وإحسانه الكثير، الذي قصد به أن يجمع قلوبهم إليه بكل إشفاق ومودة، فكانت النتيجة أن رفضوه ورذلوه.

"أَجمع أولادكِ":

الرب هنا يُخاطب أورشليم، وأورشليم لم تكن في ذلك الوقت متفرِّقة، بل كانت مكتظة بأولادها من كل الأقاليم والأقطار، والهيكل يعجُّ بالصلاة وبالمصلِّين. إذن، فالرب هنا لا يقصد تكتُّل بني إسرائيل، لأنه لا اجتماعهم ولا تفرُّقهم أفادهم شيئاً أبداً، إذ أنهم في تفرُّقهم

وذُلّهم تركوه وجدَّفوا عليه، وفي تجمُّعهم وعزِّهم خانوه وأغاظوه.

الرب هنا يتكلَّم عن سرِّ مشيئته التي من أجلها جاء ليجمع المتفرِّقين إلى واحد، إلى صدره الحنون وتحت ستر جناحيه وفي ظل منكبيه. هذه التي طالما تغنَّى بها داود، وحنَّت روحه إليها، ولكن انظروا ماذا فعلوا فيه: عرُّوا صدره الحنون وطعنوه وفردوا ذراعيه الحانيتين وسمَّروها على الصليب، والأرجل التي كانت تجول تصنع خيراً دقُّوها بالمسمار على الخشبة!

وهكذا عِوَض أن يتجمَّع إلى صدره وتحت ستر جناحيه هؤلاء الأولاد الأشقياء بنو إسرائيل، تركوه: «تركوني أنا الحبيب مثل ميِّت مرذول» (مز ٣٧: ٢١و٢٢ ـ حسب النسخة القبطية)، وذهبوا وراء شهواتهم. وهكذا تركت الفراخ حضن الدجاجة ولم تعبأ بتوسُّلها وندائها، فوقعت في مخلب الصقر المتربِّص (الإمبراطورية الرومانية)، وانتهت إسرائيل إلى خرابٍ ولعنة.

ولكن الدعوة مجدَّدة لك هنا، أيها القارئ العزيز، فالجناحان مفرودان على الصليب، والجنب الحبيب يسيل بدم الشفاء والفداء. المسيح لا يزال يُنادي خرافه ويُرسل صوته مبكِّراً كل يوم ليجمعهم تحت ظل جناحيه إلى أن يعبر الشر. هو لا يُنادي فقط، بل يجري وراء الخروف الضال ليُبطل جهالته، ولكن ليس إلى ما لا نهاية. ففي لحظة نلقى جزاء عنادنا حينما يتوقَّف الرب عن النداء وعن الجري وعن التوسُّل ليقول مرثيته للنفوس الجاهلة: "كم مرة أردتُ، ولم تريدوا". يقولها الرب ويبكي على النفس التي «لم تعرف زمان افتقادها»

(لـو ١٩: ٤٤)، إذ يكون العدو قد اقتنصها ووقعت في شِباكه.

"أردتُ، ولم تريدوا":

تقول في نفسك إنه مجنون هذا الذي لا يريد ما يريده الله؟

ولكن رؤساء الكهنة ومجمع السنهدريم وشيوخ الشعب وحكماء إسرائيل لم يكونوا مجانين! بل كانوا متأكِّدين أنهم حكماء وعلى حقٍّ، وكل الناموس في صفِّهم، ووصايا موسى كلها تسند حجتهم، وأنهم على صواب كل الصواب حينما يحكمون بأن يُرفض المسيح بل ويُصلب!

ومِن أين جاء هذا الالتباس الخطير؟ جاء من حيث كانوا يعيشون حياتين: حياة خارجية ظاهرها التقوى والتديُّن والتدقيق في أصغر طقوس العبادة، وحياة داخلية منحلَّة كلها انتهاز فرص وأطماع وتكالُب على الدنيا. وهكذا ضاعت منهم إرادة الحق ورفضوا، بل واستهزأوا بإرادة القدوس، لأن إرادتهم لم تكن في ناموس الله أبداً ولا هم كانوا في ناموسه يلهجون.

وهوذا الصوت يأتينا اليوم مجدَّداً، والمسيح في ختام صومنا يسأل:

هل تريدون ما أريد؟

أنا أريدكم من نصيبي وأن تكونوا دائماً حيث أكون، فهل تريدون؟

وأردتكم بقلبٍ وديع مثل قلبي، وأردتكم تطلبون ملكوتي وبرِّي، فهل تريدون؟

أنا أردتكم لا تهتمون بهموم الدنيا، بل أن تحملوا نيري وأنا أحمل كل همكم، فهل تريدون؟
وأردتكم لا تسعون وراء المتكآت الأولى حتى آخذكم معي لتتكئوا في ملكوتي، فهل تريدون؟
وأردتكم لا تُطالبون بحقكم ولا تنتقمون لظلمكم وأنا أردُّ لكم مئة ضعف، فهل تريدون؟
وأردتكم أن تحبوا أعداءكم، وتباركوا لاعنيكم، وتحسنوا إلى مبغضيكم، وتصلُّوا من أجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم وأنا أُجازي، فهل تريدون؟
أردتكم أن تحملوا الصليب ولا تجزعون من الصَّلْب كما حملت أنا صليبي وصُلبت عليه، فهل تريدون؟
أنا جُزتُ هذا كله من أجلكم وغلبت العالم لتتشجَّعوا وتسيروا ورائي، فهل تريدون؟

والآن، لكي ننتقل من إنجيل الجمعة إلى إنجيل سبت لعازر يلزمنا أن نصفِّي حسابنا أولاً مع الصوت القائل: "كم مرة أردتُ، ولم تريدوا"؟ لأنه إذا انتهت إرادتنا إلى هذا التعارُض، فلا مناص من الدينونة الرهيبة وسماع الصوت المحزن: «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً» (لو ١٣:٣٥)! وإذ قد تمّ بالفعل خراب الهيكل المقدس وبَقِيَ خراباً إلى يومنا هذا آية لصدق كلمة المسيح، فلا أقل من أن نشفق على أنفسنا من هذا المصير عينه لأن "هيكله هو نحن" (راجع ٢كو ٦:١٦).

«حلُّوه ودعوه يذهب»

(يو ١١: ٤٤)

◆◇◆◇◆

سبت لعازر يحمل معاني عميقة لمحبي الطقس ولهواة التلذُّذ بربط المعاني والغوص في بحر لآلئ الأرثوذكسية.

كل ما عرفناه عن السبت والسبوت أنه رمز الراحة والتوقُّف عن أعمال الحياة. هكذا جعله العهد القديم رمزاً لانتهاء الخلقة الترابية.

ولكن فجأة، وكختام لعهدٍ قَدِم وشاخ، يأتي سبت لعازر ليقلب معنى السبوت كلها مُعلناً عن بداية جديدة للحركة والحياة وفكّ ختوم السكوت والموت واقتحام الطريق الموصِّل بين القبر والهاوية.

هكذا تتلقف الكنيسة سبت لعازر لتجعل منه أحداً صغيراً وقيامة صغرى ترابية لواحدٍ من أولاد آدم الأول، تمهيداً لقيامة عظمى إلهية للمسيح آدم الثاني.

سبت لعازر هو في الأرثوذكسية مفتاح سر البصخة، سر الانتقال من القديم إلى الجديد، من عهد السبوت إلى عهد الآحاد، من عهد الموت إلى عهد القيامة. وهو أول مرحلة من مراحل العبور التي جازها مخلِّصنا، إذ بإقامة لعازر من الموت قدَّم المسيح صورة للنهاية قبل

البداية، فأطلق في القلوب سر فرحة النصرة على الموت حتى لا تخور في موكب الصليب.

ليس جزافاً أن يطلق المسيح في يوم السبت سراح لعازر من بطن الهاوية ويقيمه من بين الأموات، ولكنه أراد أن يُمهِّد بسبت لعازر للسبت الكبير، حتى تكون آلامه وصلبه ودفنه على رجاءٍ، وقيامته يقيناً كالفجر.

هكذا كانت ولا تزال قيامة لعازر حجة رجاء ضد الموت ويقين قيامة ننتظرها على كافة المستويات حتى ولو أنتنت أجسادنا وانحلت وذابت وتلاشت في الماء أو بين ذرات التراب.

هل كان لعازر في حاجة إلى أسبوعين يضافان إلى حياته أو شهرين أو عدة سنين أُخَر؟

كلا، ولكن كان التلاميذ، بل نحن، بل العالم كله، في أشد الحاجة أن يقوم لعازر من بين الأموات ليؤمن الجميعِ بالمسيح، ليس فقط أنه قادر أن يقوم، بل ويقيم من بين الأموات أيضا!!

والقصة تبدأ عندما أرسلت مريم ومرثا إلى المعلِّم بلهفة أن: أسرع، فلعازر الذي تحبه مريض. والإسراع هنا يفيد توقُّف إيمان الأختين بالرب عند حدٍّ شفاء الجسد: «يا سيد لو كنت ههنا لم يُمت أخي» (يو ١١ :٢١). لهذا كانت اللهفة وكان الإسراع من جانب الأختين لئلا يموت وتضيع الفرصة. وبالرغم من ذلك، نرى المسيح يتأخر، لأنه يرى في موت لعازر فرصة لإيمان أعلى: «فلما سمع أنه مريض مكث

حينئذ في الموضع الذي كان فيه يومين. ثم بعد ذلك قال لتلاميذه: لنذهب...» (يو ١١: ٦و٧)

وفي الطريق قال لهم: «لعازر مات. وأنا أفرح لأجلكم إني لم أكن هناك، لتؤمنوا» (يو ١١: ١٤و١٥). فالذي رأيناه يفرح بازدياد فرص الإيمان للتلاميذ والأختين تجاه الموت، نجده يبكي عندما يقف بين الباكين، وكأنما الفرح والبكاء عند المسيح نظيرُ أو رهنُ ما يسرنا ويبكينا!! ولكن بتأمُّل صغير نجد أن الفرح والبكاء جاءا مختلفين في ترتيبهما لدى المسيح عن ما كان لدى الأختين والتلاميذ. فعند المسيح الفرح أولاً ثم البكاء، إذ كان يرى القيامة قبل الموت، ولكن بالرغم من ذلك لم تَعُقْه فرحة الرؤيا المسبقة للعازر قائماً من بين الأموات عن أن يذرف الدمع مع الباكين أمام القبر. وهكذا بدا يسوع فائقاً جداً في حنانه وترفُّقه بالمتألمين إذ أخلى نفسه من فرحته النبويَّة لِمَا سيكون، فبكى كما يستلزمه الإشفاق وتحتِّم به المودة.

أما الأختان، فإذ اختفت رؤية القيامة عن مستوى إيمانهما بكتا بكاءً مُرًّا خُلواً من فرحة النبوة المسبقة بما سيكون!

وأمام القبر وقف رب الحياة وسيد القيامة ونادَى لعازر، فقام، وقام معه رجاء الإنسان كله، كل بني آدم، بالحياة الأخرى. والذي نادَى لعازر باسمه فقام من بين الأموات ويداه ورجلاه مربوطات، سيأتي وسيُنادي الإنسان، كل إنسان، لقيامة أبدية ودينونة وحياة.



صلاة

حلُّوه ودعوه يذهب

ربي أنا هو لعازر الجديد، أنا الميت.
رباط الخطيئة يلفّ أعضائي وأنا مسجّى في قبر شهواتي.
عيناي انطفأ عنهما نور الحياة، وظلمة الباطل أطبقت على عقلي.
التصق لساني بحنكي، وكفّت شفتاي عن النطق بحقّك.
انسدّ حلقي بكلمات الإثم، وشهادة الزور أطبقت على صدري.
توقّف قلبي عن أن ينبض بحبك، وتورمت جدرانه بالحقد والعداوة.
كليتاي تحجّرتا برواسب الشهوة، وسموم الملذات أذابت أحشائي.
شُلّت يميني عن الرحمة، وتصلّبت رجلاي عن مسيرة السلامة.
وجهي مستور عنك بمنديل قبائحي،
ونتن أعضائي ينضح فوق أقماط كرامتي.
ربي، إن كان للموتى رجا، في بكا، هكذا يكون رجائي.
ولكن بكاك على لعازر هو يكفيني بل ذاك معتمدي.
يا مَن دمعت عيناك على حبيب ميت،
أنا ليس لي مرثا ولا مريم، أنا اليوم ميتُك فابكِني.
أتوسّل إليك بحبك وحنانك، أوعز إلى ملائكتك أنْ "حلُّوه ودعوه يذهب".

إنجيل أحد الشعانين
(أحد الخلاص):

أوصنَّا
"هوشعنا أي خلِّصنا"

□●✝●□

على قبر لعازر استُعلن المسيح (رئيس الحياة وملك الدهور)[1]. ألم يَهْزِم آخر عدو يبطل وهو الموت!! كان هذا ختام آيات المسيح وأعماله كلها. ويا له من ختام يحمل كل إشارات ومؤهِّلات المجيء الثاني!! والآن وبعد أن تَدَهَّن بالطيب كميت وقد قام، بل وهو القيامة ذاتها والحياة، من المناسب جداً أن يعلن ملكوته السلامي ويدخل مدينة أورشليم المزيَّنة بأغصان الزيتون والنخيل، ويا له من دخول يحمل كل الإشارات عن أورشليم العُليا وعريسها حيث ننتظر ظهورها واستعلان ملكوته الأبدي.

لقد وُلد المسيح كابن لداود في بيت لحم مدينة داود، والآن يدخل أورشليم مدينة الملك كوريث داود الشرعي في مُلْكه النبوي السلامي.

وإن كان صوت النبوَّة قد أعلن أنَّ مِن عَبْر الأردن جليل الأمم (الناصرة) يُشرق نور عظيم، يعود الصوت النبوي ليقول في موضع

---

(١) مطلع صلاة الصُّلح في القدَّاس الكيرلسي، وهي من الصلوات التي كان يحبها ويردِّدها كثيراً المتنيح البابا كيرلس السادس.

آخر مُخاطباً أهل أورشليم سيدة المدائن داعياً إيَّاها بابنة صهيون: «ابتهجي جداً يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك، هو عادلٌ ومنصورٌ، وديعٌ وراكبٌ على حمار وعلى جحش ابن أتان.» (زك ٩:٩)

لقد رفض المسيح كل أيام حياته مظاهر المجد والتكريم، وتحاشى المسير في المواكب والظهور في الأعياد رسمياً، أما هنا فلأول مرة وآخر مرة في حياته يُرتِّب بنفسه موكب الظفر والمسيرة الرسمية للدخول إلى أورشليم كملك، حتى اندهش منه الكثيرون وضجّ منه رؤساء الكهنة والفرِّيسيون. نعم، فقد آن الأوان فعلاً أن يعلم العالم أنه المسيَّا الملك الفادي والمخلِّص!!

فهذه أغصان الزيتون رمز السلام تشير إلى المسيَّا (شيلون) "رجل السلام".

وهذه أغصان النخيل تشير إلى أقواس ظفره الملوكي الإلهي[٢].

وهذه الأصوات "أوصنَّا في الأعالي" تشير إلى الخلاص والفداء الإلهيَّيْن.

وبهذا الموكب المزدحم بالمعاني العميقة والأسرار ينتهي تاريخ إسرائيل الزمني ليبدأ ملكوت المسيَّا الذي فيه تتحقَّق النبوات جميعاً مع كل التوقُّعات والآمال لكافة الأنبياء والرائين من قريبٍ ومن بعيد.

---

(٢) في سفر اللاويين (٢٣: ٤٠) يعملون "المظال" بسعف النخيل رمز الحضرة الإلهية. وفي سفر المكابيين الأول (١٣: ٥٠-٥٢) ومكابيين الثاني (١٠: ١-٩) يُعيِّدون عيد الحرية بسعف النخيل.

ولعلٍ في الهتافات التي قيلت في ذلك اليوم وسجَّلها لنا البشيرون توضيحاً لكل هذه التحققات التي كملت باستعلان المسيَّا في شخص يسوع المسيح في هذه المناسبة:

+ «أوصنَّا (خلِّصنا) لابن داود، مبارك الآتي باسم الرب. أوصنَّا في الأعالي.» (مت ٢١:٩)
+ «مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب. أوصنَّا في الأعالي.» (مر ١١:١٠)
+ «مبارك الملك الآتي باسم الرب. سلامٌ في السماء ومجدٌ في الأعالي.» (لو ١٩:٣٨)

والعجيب أن المسيح كان موافقاً على كل ما كانوا يهتفون به حتى بلغ هتافهم عنان السماء، بعكس كل مواقفه السابقة التي كان يُحرِّم فيها أي هُتاف له. بل لما طالبه الفرِّيسيون أن يُسْكِت الهاتفين، قال لهم: «إن سَكَتَ هؤلاء فالحجارة تصرخ.» (لو ١٩:٤٠)

إذن، فكل ما هتفت به الجموع كان هتافاً نبويًّا من عمل الروح الذي كان ينطق في أفواه الأطفال والرُّضَّع!!

تطهير الهيكل ومظاهر العنف:

جديدٌ علينا وغريبٌ جداً منظر المسيح وفي يده سوط يطرد التجار من الهيكل ويُعنِّف مُلوِّثي الصلوات؟ ما سرُّ هذا العنف المفاجئ؟ وهل له في النبوَّات مرجع؟

الآن عودة إلى النبوات:

ففي سفر ملاخي يصف النبي هذا الموقف بحساسية مرهفة:

+ «ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تُسرُّون به، هوذا يأتي قال رب الجنود. ومَن يحتمل يوم مجيئه؟ ومَن يثبت عند ظهوره؟ لأنه مثل نار المُمَحِّص، ومثل أشنان القَصَّار. فيجلس مُمَحِّصاً ومُنَقِّياً... وأقترب إليكم للحُكْم وأكون شاهداً سريعاً على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الحالفين زوراً وعلى السالبين...» (ملاخي ٣: ١–٥)

ولكن لا يزال السؤال باقياً: ما سرُّ هذا العنف الذي لم نعتاده قبلاً من المسيح؟

هنا يلزمنا رجعة إلى الإنجيل. فالقديس لوقا يُعطينا الجواب على هذا التساؤل، وإنما على مستوى سرِّي يحتاج منا إلى مزيد من الانفتاح الذهني لنُدرك الإشارات العميقة.

فقبل أن يورد القديس لوقا حادثة دخول الرب أورشليم يوم الأحد يورد مثلاً للمسيح، قاله حال دخوله أورشليم، وهو له علاقة هامة جداً بالموضوع، ويشرح لنا أسرار ذلك اليوم الكبير. يقول الإنجيل:

+ «... فقال مَثَلاً، لأنه كان قريباً من أورشليم، وكانوا يظنون **أن ملكوت الله عتيدٌ أن يظهر في الحال.** فقال: إنسانٌ شريف الجنس ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه مُلْكاً ويرجع... وأما أهل مدينته فكانوا يُبغضونه، فأرسلوا وراءه سفارة قائلين: لا نريد أن هذا يملك علينا. ولما رجع بعدما أخذ المُلْك، أمر أن يُدعى إليه أولئك العبيد الذين أعطاهم الفضة (وحاسبهم

حسب أمانتهم)... أما أعدائي، أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم، فأْتُوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدَّامي! **ولما قال هذا تقدَّم صاعداً إلى أورشليم.**» (لو ١٩: ١١-٢٨)

يلاحظ القارئ هنا قول الإنجيل: «**لأنه كان قريباً من أورشليم**»، فهذه إشارة خفية تنبهنا أن المَثَل المذكور الذي قيل هنا له علاقة بدخول المسيح أورشليم يوم الأحد. ثم قوله: «**وكانوا يظنون أن ملكوت الله عتيدٌ أن يظهر في الحال**»، تعطي إشارة أن المسيح سيشرح في المَثَل أن ملكوت الله لن يظهر في الحال، وفعلاً قد أوضح ذلك المسيح في المَثَل عند قوله: «**ذهب إلى كورة بعيدة**». كما تفيد أيضاً عبارة: «وكانوا يظنون أن ملكوت الله عتيدٌ أن يظهر في الحال»، أن طريقة دخول المسيح الهيكل يوم الأحد سوف تشرح لنا كيفية ظهور الملكوت ومجيء المسيح في مُلْكه. وهذا يظهر بوضوح أكثر بقوله في نهاية المَثَل: «ولما قال هذا تقدَّم صاعداً إلى أورشليم». وفعلاً دخل المسيح الهيكل بهيئة ملك، وحال دخوله بدأ في الحال يُحاسب ويوبِّخ ويُعنِّف المسئولين بسلطان، كملك، مما أذهل رؤساء الكتبة والفرِّيسيين، ولم يدروا أنه كان يعمل عمل الديَّان.

وهنا نلاحظ انقسام الناس عند استقبال المسيح إلى فريقين: فريقٌ غاضب، وهو الذين يسيئهم مجيء الرب الثاني لأنه سيفضح شرَّ حياتهم، وهؤلاء كان يمثِّلهم الفرِّيسيون؛ وفريق فَرِح مُهلِّل، وهو الذين يُسرُّهم مجيء الرب لأنه سيعلن برَّهم، وهؤلاء كان يمثِّلهم التلاميذ والأطفال والشعب البسيط القلب.

وأما طرده الذين يبيعون ويشترون وقلبه لموائد الصيارف، فكان إشارة إلى حرمان الذين استخدموا الدِّين للتجارة والربح الزمني.

أما قلبه كراسي باعة الحمام وطردهم من الهيكل، فهو إشارة إلى رَفْض الرب الذين باعوا مواهب الروح القدس (الحمام).

وأما العنف الذي بدا على المسيح واستخدامه السوط، فكان إشارة سرِّية إلى مستوى الدينونة، الذي سيبلغ منتهى عنفه عندما تبدأ محاكمة الشيطان علناً هو وكل أعوانه وأتباعه الذين رفضوا أن يملك المسيح عليهم، عندما يطرحهم تحت قدميه، حسب قول القديس لوقا، وهنا سر عنف المسيح الذي بدأ في الهيكل.

✠ ✠ ✠

صلاة

يا رئيس الحياة وملك الدهور، يا مَن فديتَ من الموت نفسي، يا مَن فككتَ قيودي.
اليوم في ذكرى موكبك الصاعد، إلى أورشليم، أسير نحو بيتك وأُجدِّد عهودي.
أحمل سعفي وزيتوني لأُنصبك ملكاً لحياتي، وأهتف: أوصنَّا في الأعالي.
ليس لي أثواب زاهية أفرشها في طريقك، ولكني أطرح حياتي على عتبة بيتك.
أدخل، بالفرح، كنيستك موضع مُلْكك، وأسجد بالخوف أمام هيكلك مكان عرشك.
أُقبِّل أبوابها وأعتابها وأمسح بترابها جبيني، لعلك ترفع وجهي.
ربي، لا تجعل لي فيها مغنماً ولا نصيباً مع الذين يبيعون فيها ويشترون.
ربي، اليوم أُعاهدك: لك كل حياتي، كل أموالي. أوصنَّا في الأعالي.

عظة يوم الاثنين
من البصخة المقدسة:

شجرة التين غير المثمرة

◆◆◆◆◆

+ «وفي الصبح إذ كان (يسوع) راجعاً إلى المدينة جاع، فنظر شجرة تين على الطريق، وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلاَّ ورقاً فقط. فقال لها: لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد. فيبست التينة في الحال.» (مت ٢١:١٨و١٩)

هذه الآية صنعها يسوع يوم الاثنين من أسبوع آلامه الأخير.

• • •

تعاليم المسيح تمتاز بالأثر العميق الذي يبقى في النفس إلى الأبد نظراً لِمَا تشمله من تمثيل واقعي، مُدعِّماً أمثاله بأعمالٍ قوية واضحة حتى يُثبِّت في ذهن الإنسان القصد الذي يرمي إليه.

نظر يسوع شجرة تينٍ مورقة على الطريق فجاء إليها ينشد ثمراً ولكنه لم يجد، فلعنها فجفَّت في الحال. كان لابد أن يكون مع الورق ثمرٌ لأنهما يبدآن معاً، بل إن الثمر تظهر براعمه مبكِّرة عن الورق. فلما وجدها اخضرَّت وأورقت ولم تحمل ثمراً، حَكَمَ عليها بالموت، لأنها لم تَعُد تصلح لشيء إلاَّ للنار حسب القول: «كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتُلقى في النار.» (لو ٣:٩)

وفي هذا لم يكن يعطف على الفلاح الذي كان يتعب فيها عبثاً، ولا على تعطيل الأرض التي تحملها.

ولم يلعنها لتكون وقوداً لتدفئ الأيدي الباردة، ولكنه قصد ما هو أعظم من هذا، فإنه قصد أن يدفئ بها القلوب الجامدة.

مَن هي الشجرة؟

كانت التينة المورقة العقيمة من الثمر رمزاً للأُمة اليهودية التي حفظت الشريعة عن ظهر قلب وتمّمت الطقوس بدقة فائقة وتمسَّكت بالشكليات إلى أبعد حدٍّ! طقوس الكهنوت متمَّمة على أكمل وجه بالزي الفاخر والطيالس والأهداب الطويلة. والكتبة أتقنوا النساخة إلى أبعد حدود الدقة. والفرِّيسيون يشرحون الناموس ويُعلِّمون وصايا بأكثر مما يحتمل الناموس صعوبةً وتعقيداً. ذبائح منتظمة وبخور في الصباح والمساء. وفي أفواههم على الدوام نحن أولاد إبراهيم، شعب الله المختار، هيكل الله، هيكل الله.

أما قلوب الجميع فكانت بعيدة عن الحق، حفظوا الناموس بأفواههم وليس بقلوبهم. تَمَّموا الطقوس للناس وليس لله. ذبحوا الذبائح ليأكلوا، وقدَّموا البخور ليرهبوا الناس لا ليمتلئوا رهبة وخشية من حلول الله في بيته.

هكذا كان حال الأُمة اليهودية شجرة خضراء وجميلة ولكن ليس فيها ثمر. دخل المسيحُ الهيكلَ فرآه كما رأى التينة، رآه مغارة للُّصوص، ونظر إلى الكهنة والكتبة والفرِّيسيين فلم يشكرهم ولم يتركهم بل

أعطاهم الويل المضاعف لأنه وجدهم مرائين، يأكلون بيوت الأرامل ولِعلّة يُطيلون الصلوات، وشبَّههم بالقبور المبيضة من الخارج وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكلٍ نجاسة. فلعن هيكلهم كما لعن التينة: «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً» (لو ١٣:٣٥)، حتى أنه لم يبقَ منه حجر على حجر. وظل الهيكل خراباً حتى اليوم، ومجمعهم وكهنوتهم مُعطَّل حتى هذه الساعة. ذبل الهيكل كما ذبلت التينة، حتى جاء مِعْوَل الرومان واقتلع الهيكل والعبادة اليهودية من أصولها، كما وُضعت الفأس على أصل هذه التينة الجافة واقتلعتها يوماً.

ماتت الشجرة ومات الهيكل، وظل هذا المثل القوي حيًّا، سيفاً مُسلَّطاً على كل أُمة لا تعمل البرَّ، وكل فرد يتمسَّك بالمظهر دون الجوهر ويفتخر بعقيدته دون أن يفتح قلبه لربِّ العقيدة!

حسبناه خروفاً فوجدناه ذئباً:

انظر، يا أخي، لئلا تكون شجرة تين خضراء، ولك مظهر العمل والخدمة، واستطعت بمظهرك أن تجذب إليك الناس من بعيد، فتوهَّموا أنك الغني ومُعلِّم النور وفاتح كنوز المعرفة والماسك بمفاتيح الملكوت؛ وأنت الفقير العريان الجالس في الظلمة ولم يُشرق النور على قلبك بعد. المعرفة على لسانك وليست في قلبك. وقفتَ على الباب فما دخلتَ أنت ولا جعلتَ الداخلين يدخلون. إن كنتَ أنت هو، فاشفق على نفسك وعلى الناس، لأن الفأس قد وُضعت على أصل الشجرة. وكيف سيقول الناس عنك حينذاك؟ سيقولون: حسبناه خروفاً فوجدناه ذئباً.

حسبناه أصلاً فوجدناه فرعاً:

انظر، يا أخي، لئلا تكون شجرة خضراء أخرجت أوراقها قبل أن يتم نموها وتصلح لحمل الثمار، فاغترَّت بأوراقها وليس لها ثمر. لك غيرة على الحق ولكن ليس حسب المعرفة. لك نشاط وجهاد ولكن ليس كمَن يرضي الله، بل يرضي نفسه والناس!

لا زلت تستقي اللبن في معرفة الله وتدَّعي أمام الناس بمنظرك وكلامك وتقواك المصطنعة أنك بالغ القامة في المسيح، وقبل أن تشتعل تريد أن تضيء!

إن كنتَ أنت هو، فاحذر لأن البستاني لن يشفق على جمالك وأوراقك وبمنشاره الحاد سيقطع فروعك الكاذبة ويُعرِّيك من أوراقك الكثيرة، وحينئذ تظهر بين الأشجار صغيراً على حقيقتك. ولكن كيف سيقول الناس عنك حينذاك؟ سيقولون: حسبناه أصلاً فوجدناه فرعاً.

له صورة التقوى ولكنه أنكر قوتها:

انظر، يا أخي، لئلا تكون شجرة خضراء نَمَت في تربة قليلة العمق، فاخضرَّت وأورقت، وإذ ليس لها عمق طلعت الشمس فضربتها والجفاف مصيرها. عمِّق يا أخي في الأساس لئلا يكون تعبك باطلاً وجهادك كله للحريق. أرسل جذورك قبل أن تخرج أوراقك. انعكف على نفسك أولاً وتطهَّر من أدناسك وخطاياك وغشّك وريائك، تأصَّل أولاً في معرفة الله، وحينئذ تقوى على شمس التجارب. واعلم أن إبليس أسدٌ زائر (١بط ٥:٨) ولن يقف أمامه ضعاف النفوس الغاشون لأنفسهم ولكلمة الحق، غير المتأصِّلين في معرفة الله،

إذ يضربهم ضربة لا يكون لها شفاء، فتكون الظلمة أحب إليهم من النور، والدَّنس أسهل عليهم من شُرب الماء، والغش والمكر والخداع دروعهم التي يتحصَّنون بها.

فتِّش ودقِّق ربما أنت واحد منهم، ولكن كيف يقول الناس عنك حينذاك؟

يقولون: كانت له صورة التقوى، ولكنه أنكر قوتها.

يا أسفي على هذه الأشجار التي اخضرَّت للحريق ووُلدت للَّعنة. يا ليتها ما أخرجت ورقاً لأنها اكتفت بالأوراق دون الثمر وخدعت الناس للمجيء إليها فأتعبتهم بلا طائل. صاروا لعنة لأنفسهم وضلالة للناس.

الرب قادمٌ إليك:

وأنت أيها الشجرة الخضراء المورقة، اعلم أن المسيح قادمٌ إليك مع شهود ليرى فيك ثمراً! هل وراء أقوالك وأعمالك ثمار الروح: إيمان وحُب وحق وفرح وسلام فيه؟ مع تواضع وإنكار للذات وحرارة في الصلاة!

الرب قادمٌ إليك لأنه جوعان، جوعان إلى ثمارك. أما أوراقك فإنها مُرَّة لا تؤكل ولن ينتفع أحدٌ بها. إنه جوعان لحبِّك، جوعان لطُهرك وعفافك وقداستك، جوعان لثقتك فيه، جوعان لصومك وصلاتك.

ثمن الدم والجسد:

إنه طعَّمك بدمه، فكيف لم تخرج رائحته منك؟ إنه أطعمك

جسده، فكيف لم تثمر بعد؟

إنه سقاك بعرقه المتصبِّب من جبينه، وسيَّج حولك بإكليل الشوك ليحميك من أعدائك، فما هو عذرك؟ الفرصة أمامك، اكتشف نفسك بنفسك ولا تخدع ذاتك أو تحاول أن تخدع الله!

أنت نجحت فقط في كيف تخدع الناس، أما عين الله فلن تُخدَع قط، وهو قادمٌ ليطلب الثمر، ثمن الجسد والدم! حدِّد موقفك وإلاَّ فلا تلُمْه إنْ هو لعن التينة!

لم يلعن المسيح شيئاً قط. لم يشأ أن تنزل نارٌ من السماء وتأكل المضادين، كما أشار عليه أحد تلاميذه. ولم يلعن ضاربيه أو صالبيه، بل كان مبدأه دائماً: فتيلة مُدخنة لا تُطفأ، وقصبة مرضوضة لا تُقصف (مت ١٢: ٢٠)، ولكنه لم يحتمل التينة الكاذبة غير المثمرة.

العشر العذارى

■•✝•■

+ **«جاء العريس، والمستعِدَّات دخلْنَ معه إلى العُرْس.»** (مت ٢٥: ١٠)

كان يوم الثلاثاء مليئاً بالتعاليم، ولكن مَثَل العشر العذارى كان تأكيداً لمجيئه الثاني.

• • •

انتظرت العذارى معاً طويلاً، ولم يكن أحد يستطيع أن يُفرِّق بين الحكيمات منهن والجاهلات، فالمصابيح كانت في أيديهن موقدة وظلَّت موقدة طويلاً حتى منتصف الليل.

وقبيل منتصف الليل بقليل ظهرت علامات التعب عليهن جميعاً فتثقَّلن بالنوم. غير أن خمساً منهن تهامسن مع بعضهن أنه **لا فائدة من السهر**، فالعريس لن يحضر، لقد أتعبنا أنفسنا وخسرنا زيتنا عبثاً. وحينئذ اتفقن معاً في جهالة أن يُطفئن مصابيحهن وينمن، وكان نومهن عميقاً **كمَن ينام نوم الموت**.

أما الخمس العذارى الأُخريات فكُنَّ قد تعبن بالجسد فقط، أما

الروح فكان نشيطاً. فجمعن زيتاً في أوان تكفيهن، ونمن، ولكنهن كُنَّ مستعدَّات وصحَّ فيهن قول الكتاب: «أنا نائمة وقلبي مستيقظ.» (نش ٥: ٢)

جاء العريس بالرغم من الانتظار الطويل، وبعد أن انتصف الليل سمعن صوته وصوت المهلِّلين لقدومه. فيا لحسرة الجاهلات، ويا لخيبة أملهنَّ، ويا لفرحة المستعدَّات ويا لسعادتهن!

قامت الجاهلات وحاولن عبثاً أن يشعلن مصابيحهن، فوجدن الزيت قد فرغ.

وقامت الحكيمات وأخذن من مخازن زيتهن وأشعلن مصابيحهن فأضاءت، وأضاءت وجوههن من الفرح.

سيأتي المسيح ومجيئه أشدَّ تأكيداً لنا من مجيء العريس عند الحكيمات. نعم، سيجيء بعد منتصف الليل، بعد انتظار طويل، بعد أن يفرغ علمنا وفهمنا وتقديرنا؛ عندما نستسلم له بقلوبنا فقط، عندما نهدئ هذا العقل ونشفق على هذا التفكير ونَدَعَه جانباً. هذا هو النوم الحقيقي، نوم اليقظة، الذي فيه تكون الروح نشيطة، عندما نهمل كل أمور هذا الجسد وننتظر بالروح مجيء العريس السمائي.

المستعدُّون:

إن مجد المستعدِّين سيبدأ عندما يظهر العريس لأن وجهه سيُشرق لهم فيجعل وجوههم تضيء بالمجد، حينئذ سيكونون معه حيث يكون هو، لن يفرقهم عنه زمان أو مكان. فعندما يظهر سيكونون معه في

الحال، ولن يفصلهم عنه شيء: «أيها الآب أُريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني.» (يو ١٧: ٢٤)

نعم، سيقود المسيح الذين اشتركوا معه في آلامه، وصبروا واحتملوا وخرجوا من ضيقة هذا العالم ظافرين، إلى السعادة الأبدية، سيقودهم بنفسه ليشتركوا معه في مجده لأنهم ذاقوا آلامه وغسلوا خطاياهم بدمه واستحقوا أن يعيشوا معه إلى الأبد، ومصدر سعادتهم أن يروا وجهه كل حين ويفرحوا معه في وليمة عيد الأبدية!

ما أجمل حفلة العُرس الأرضية، وما أبهج أعياد الناس، فكم وكم تكون حفلة عُرس السماء وعيد الله في الأبدية! مَن يستطيع أن يتصوَّر مقدار سعادة المدعوين إليها؟ وإن كان الفكر يعجز عن وصف هذه السعادة، فكيف أستطيع أن أتكلَّم عن العلاقة السرِّية الإلهية التي ستربط العريس بعروسه! وعروسه هم المدعوُّون الذين خطبهم لنفسه وطهَّرهم جداً حتى يتحدوا به إلى الأبد بلا مانع.

مَن هم المستعدُّون:

- هم الذين تعبوا وأشقاهم الحاضر ولبسوا عُدَّة الجندية وانجرحوا، ولكنهم جاهدوا حتى الدم ولم يلقوا السلاح، فدافعوا عن إيمانهم وعقيدتهم واعترفوا بسيدهم ولم ينكروه، ولما طلب العدو رقابهم قدَّموها بفرح ثم دخلوا مع السيد إلى العُرْس.

- هم الذين أبغضوا أنفسهم وازدروا بالعالم، فتركوه وراء

ظهورهم مستهينين بمجده، وعاشوا «مُعتازين مكروبين مُذلِّين، وهم لم يكن العالم مُستحقاً لهم. تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض..» (عب ١١: ٣٧و٣٨)
وذلك من أجل عِظَم محبتهم في الملك المسيح، ولما دعاهم دخلوا معه إلى العُرس.

- هم الذين تعبوا في الكرم وخدموا بأمانة، رعوا الرعية وسهروا عليها، ولم يتركوا خروفاً واحداً ليخطفه الذئب بل كانوا مستعدِّين أن يفتدوه بأنفسهم. أطعموا المسكين، وسندوا الضعيف، وحاموا عن الأرملة واليتيم، وأشبعوا الخراف من التعاليم الحيَّة، ورووها بمعرفة القدوس ومحبته، وكانوا قدوة للخراف في العفة والطهارة والقناعة وإنكار الذات. وحينئذ دعاهم وأعطاهم الأُجرة أن يدخلوا معه إلى العُرس.

- هم الذين أخطأوا وزلُّوا وسقطوا، في جهلٍ وفي ضعف، ولكنهم بشجاعة قاموا وتابوا وغسلوا ذواتهم بدموعهم، وبيَّضوا ثيابهم في دم الخروف؛ فولدتهم التوبة الأُم الجديدة، ولدتهم أبكاراً بتوليين من جديد كما خرجوا من بطون أُمهاتهم. وحينئذ صاروا أهلاً أن يدخلوا معه إلى العُرس.

- «وقال لي: اكتب طوبى للمدعوين إلى عشاء عُرس الخروف.» (رؤ ١٩: ٩)

نعم، طوبى لمن كان نصيبه مع هؤلاء، لأنه سيكون مع المسيح إلى الأبد.

"وأُغلِق الباب":

ما أصعب هذه العبارة وما أقساها! ليس لهم نصيب مع المسيح لأنهم سيُحرمون منه إلى الأبد. ولكنها في ذات الوقت حلوة عند المدعوين لأنها تفيد أنهم لن يُحرموا منه أبداً.

فالباب أُغلق في وجه المطرودين حتى لا يرَوْا وجهه، وأُغلق أيضاً حتى لا يخرج المدعوون من حضرة العريس إلى أبد الآبدين.

هؤلاء يذهبون إلى الظلمة الخارجية حيث الندم والحزن والكآبة وصرير الأسنان، وهؤلاء يدخلون إلى فرح سيدهم ينعمون ويُعيِّدون عيد الأبدية.

المطرودون:

هم الذين لم يجدوا زيتاً في مصابيحهم عندما أقبل العريس، فذهبوا يبحثون عن الزيت في غير وقته، فلم يجدوا زيتاً ولم يجدوا وقتاً، فعادوا ووجدوا الباب مُغلقاً.

هل ستكون من بين المطرودين، أيها السامع، وأيها القارئ؟

يا لأسفي ويا لحزني إن كنتَ قد وضعتَ في نفسك أن تستهين بالدعوة. إني أُصلي من أجلك وأطلب من الله أن لا يكون نصيبك في الظلمة الخارجية بين المحرومين من نعمة الوجود مع الله؛ بل ينسكب روح الله فيك ليُغيِّر قلبك لتقدِّر أهمية الدعوة التي دُعيت إليها مع المسيح.

يا ليت للمطرودين شكلاً خاصاً حتى نعرفهم ونميِّزهم، أو حتى

نتوسل إليهم ونرجوهم أن لا يختاروا هذا النصيب المشئوم.

ولكن ليس تفرقة قط ولا تمييز بين المدعوِّين وبين المطرودين حتى مجيء العريس، إذ هم عذارى ولهم مصابيح واحدة، وساروا معاً في ذات الطريق وسهروا معاً وناموا معاً واستيقظوا على صوت العريس معاً، وقاموا ليُصلحوا المصابيح معاً. ولكن، يا للحسرة، لم يكن لبعضهم زيت ليُنيروا به، هنا ابتدأ المصير يتقرَّر، فالنعمة العاملة في القلوب هي التي تشملنا لنضيء وتؤهِّلنا للقاء العريس. هذا هو الزيت الذي أهَّل العذارى الحكيمات للدخول مع العريس. وهو الذي افتقدته العذارى الجاهلات فلم يجدنه.

اجمعوا لكم زيتاً قبل أن ينتصف الليل فلا تجدونه، يا أحبائي.

تذكار المحبة

✞✦✞✦✞

+ «فأخذت مريم مَناً من طِيب ناردين خالص كثير الثمن، ودهنت قَدَمَيْ يسوع، ومسحت قدميه بشعرها.» (يو ١٢: ٣)

أمضى يسوع هذا اليوم في بيت عنيا في خلوة حيث تقبَّل من مريم هديتها.

• • •

هناك خدمات وأعمال نعملها باسم الله نحو الفقراء والمحتاجين. وهذه الأعمال ممدوحة ومشكورة لأنها صادرة من شعور بالرحمة والتضحية.

وهناك أعمال نعملها مع الله مباشرة، وهذه لا تُرى ولا يسمع بها الناسٍ، وهي أعظم من أن تُمدَح أو يُشكر عليها، لأنها صادرة عن حب داخلي من القلب نحو الله.

الأعمال الأولى نُمدح عليها من الناس، وربما لا نُمدح عليها من الله، إذا كانت قد عُملت من أجل مديح الناس وشكرهم وتعظيمهم لنا. أما تقدمة قلوبنا لله بأعمال المحبة المباشرة نحوه، فهذه تكون صادقة ليس فيها غش أو رياء، يَقْبلها الله كما قَبِلَ الطيب المسكوب على

جسده من مريم. هذه إذا رآها الناس أو شعروا بها فإنهم يرذلونها أو على الأقل يغتاظون: «وكان قومٌ مُغتاظين في أنفسهم، فقالوا: لماذا كان تلف الطِّيب هذا؟» (مر ١٤: ٤)

محبة التمجيد:

ما أقل الصادقين في حبهم نحو المسيح الذين يعملون ويخدمون، لا من أجل الناس ولا من أجل أنفسهم، وإنما بدافع الحب العميق للمسيح المتأجِّج في قلوبهم.

حينما تقدِّم صدقتك للمسكين، أتشعر أنك تقدِّمها للمسيح بدافع الحب له؟

حينما تصلِّي وتسبِّح مع المصلِّين، أتشعر أنك تخاطب الله بقلبك؟

حينما تحب أهلك وأصدقاءك ومعارفك، هل تشعر أن دافع المحبة مصدره حبك للمسيح؟

حينما تتقدَّم على المذبح للتناول من جسد الرب ودمه، هل تشعر أنك له وهو لك، يربطكما رباط المحبة الخالدة؟

إن كانت أعمالك مصدرها حبك للمسيح، فثق أنك تمجِّد الله بمحبتك وأعمالك، وقد صارت لك هذه كلها بخوراً زكياً أمام الله كل حين.

أما إذا كانت أعمالك بدافع الواجب أو المجاملة للناس أو الفخر، فثق أنها كلها خسارة وقد صارت كالسِّقط الذي يولَد ميتاً.

تمجيد المحبة:

تقدَّمت المرأة الخاطئة بقارورة طيب كثير الثمن وسكبته على رِجليْ المسيح ومزجته بدموعها ومسحت قدميه بشعر رأسها، فقال عنها المَسيح إنها أحبت كثيراً، ولذلك غُفِرت لها خطاياها الكثيرة (لو ٧:٤٧).

وتقدَّمت مريم أخت لعازر بقارورة طيب كثير الثمن أيضاً ودهنت به قدميْ المسيح ومسحت قدميه بشعر رأسها، فقال عنها إنها كفَّنت بالطيب جسده.

ما أكثر الحب الأول، فقد استطاع أن يُكفِّر عن كل الذنوب والخطايا السالفة.

وما أروع الحب الثاني، فقد استطاع أن يُكفِّن جسد المسيح ذاته!

الحب الأول عاد بالخير على صاحبته، والحب الثاني كان للمسيح بلا مقابل.

ما أمجد الحب الخالص الذي بلا مقابل وبلا ثمن!

جيد أن نحب المسيح لأنه افتدانا من اللعنة والخطية وسلطان الموت.

وجيد أن نحب المسيح لأنه فتح لنا باب الفردوس الذي كان قد أُغلِق في وجوهنا.

جيد أن نحب المسيح الذي أهَّلنا أن نشترك معه في مجده إلى الأبد.

ولكن أعظم من هذا كله أن نحب المسيح «لأنه هو أحبنا أولاً.» (١يو ٤:١٩)

محبة غالية:

مَن هي مريم التي قدَّمت قارورة طيب بثلاثمائة دينار؟ لم تكن ملكة ولا أميرة أو حتى ذات أموال؛ بل امرأة فقيرة، ولكنها جمعت كل أموالها واشترت زجاجة طيب. إنه جنون المحبة الذي هزأ به يهوذا اللص الخائن، وقال عنه إنه إتلاف، أما المسيح فمدحه جداً. يهوذا قدَّره بالمال وثَـمَّنه كخبير في الأسعار بثلاثمائة دينار، أما المسيح فقدَّر المحبة التي فيه فوجدها تفوق الأرض وما عليها.

إن كل خدمة نؤدِّيها أو عطية نعطيها أو كلمة نقولها سوف يَزِنُها المسيح بميزان الحب. وحينئذ تكون المكافأة والمجازاة، لا عن مقدار الخدمة أو عِظَم العطية أو قوة الكلمة؛ وإنما عن صِدق المحبة التي دفعتنا إلى ذلك.

محبة ناضجة:

لم يكن شعوراً طارئاً ذاك الذي دفع مريم لتقديم هديتها، ولكنه شعور بدأ عندما كانت تجلس عند قدميه، وعلمت منه سرًّا أنه سيموت بأيدي رؤساء الكهنة واليهود، وأيقنت من كلام السيد أن هذا لابد أن يكون. حينئذ ابتدأ حبها ينفعل فيها لتُقدِّم له شيئاً يليق بموته!!

ومنذ تلك اللحظة وهي تجمع كل ما لديها حتى اشترت قارورة الطيب التي أذابت فيها كل مشاعر المحبة، وحفظتها عندها إلى أن يحين الوقت: «فقال يسوع اتركوها إنها ليوم تكفيني **قد حفظته.**» (يو ١٢:٧)

هذه هي المحبة التي محَّصها الزمن، فقويت. وهاجمتها شكوك النفس، فثبتت. وقامت ضدها حاجة المعيشة، فغلبت!

كثيراً ما نتقدَّم بعمل من أعمال المحبة وإذ تُتْرك لنا الفرصة قليلاً نتردَّد، وإذا طال الزمن نبرد، فإذا طولبنا بوعدنا نرفض!

يا ليت حبنا يكون ناضجاً عنيداً نحفظه في قلوبنا لوقته فلا تزيده الأيام إلاَّ قوة وتأكيداً.

قدَّمت مريم هديتها في اللحظة المناسبة، إذ بعد أن دهنت رجليه بالطيب، قام وذهب ليُصلب، وترك بيت عنيا ولم يَعُد بعد إليها.

الفرص أمامك، يا أخي، ولا تستشِرْني: ماذا أُقدِّم للمسيح؟ لأن مريم لم تستشِرْ أحداً إلاَّ قلبها.

محبة صامتة:

مريم حفظت الطِّيب عندها سرًّا، وقدمته صامتة، ولم تتحدث عنه بعد ذلك لأحدٍ.

يا مَن تحب المسيح، تعلَّم من مريم.

الجسد المقدس والدم الكريم

□❖✞❖□

+ «وفيما هم يأكلون أخذ يسوعُ الخبزَ، وبارك وكسَّر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا كُلُوا هذا هو جسدي. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلُّكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا.» (مت ٢٦:٢٦–٢٨)

هذا هو اليوم الفاصل بين عهدين، الذي أسَّس فيه المسيح سرَّ التناول.

• • •

يومان في تاريخ البشرية هما كل التاريخ:

اليوم الأول: كان بعد الطوفان الذي أهلك كل بني البشر إلاَّ نوحاً وأولاده، يوم أن عاهده الله أنه لا يعود يلعن الأرض أو يميت كل حي فيها. وكانت علامة العهد قوساً يظهر في السماء بعد كل مطر شديد علامةً لرضا الله.

والثاني: هو الذي نصنع تذكاره اليوم، وفيه جلس يسوع مع تلاميذه وكشف لهم عن سرِّ العهد الجديد في مغفرة الخطايا ونوال الحياة الأبدية.

كان العهد الأول ضماناً لاستمرار الحياة البشرية على الأرض.
وكان العهد الثاني ضماناً لنوال الحياة الأبدية بعد الموت!

"جسدي... ودمي":

خرج آدم من لدن الله وقد فارقته النعمة الإلهية بسبب مخالفته، فدخلت الخطية جسده واظلمَّت روحه المنيرة التي كان يرى بها الله.

وهكذا عاش بعيداً عن الله غير لائق لميراث الملكوت، إلى أن جاء المسيح، فكان لابد أن يُطهِّر الجسد ويعطيه سلطاناً على الخطية، ويُقدِّس الروح لتؤهَّل لرؤية الحياة الأبدية.

ابتدأ المسيح يُعلِّم تلاميذه، فتغيَّرت أذهانهم. وقدَّم لهم الآيات والمعجزات، فآمنوا به وعلموا يقيناً أنه هو يسوع المسيح ابن الله الحيّ. ولكنهم ظلُّوا كما هم تحت سلطان الخطية بعيدين عن الحياة الأبدية. فلا التعليم استطاع أن يُطهِّر الجسد، ولا الإيمان وحده كان كافياً لكي يُقدِّس الروح، إلى أن جاء هذا اليوم الأخير الذي كلَّل فيه المسيح تعاليمه ومعجزاته بتقدمة جسده ودمه للأكل والشرب، بسر عجيب، حتى نتغيَّر بهما إلى حالة الطهارة والقداسة بقوة اللاهوت الكائن فيهما.

بهذا صارت البشرية مرة أخرى مهيَّأة لحياة الشركة مع الله وللحياة الأبدية.

"خذوا كلوا... اشربوا منها كلكم":

ما أعظم هذا النداء، ليس هو رجاء ولا دعوة، ولكنه أمرٌ.

ليس لنا أن نقول: لا، مهما كنا خطاة أردياء، لأننا كلنا خطاة أردياء.

وليس ولا واحد بمستحق هذه العطية التي يصير بها واحداً في المسيح.

أراد بطرس أن يرفض غسل رجليه بيدي المسيح تواضعاً منه، فانتهره المسيح قائلاً: «إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب...» (يو ١٣:٨)

أقول إنها ليست دعوة ونحن أحرار في قبولها أو رفضها. كلا، لأن في قبولها حياة وفي رفضها موتاً، والرب لا يشاء موت الخاطئ بل بالأحرى أن يرجع ويتوب إليه.

لقد جاء المسيح ليعطينا جسده ودمه، فكل مَن لا يأخذ من جسده ومن دمه، فالمسيح ليس له. وإن كان المسيح ليس لنا فليس لنا رجاء، بل ونكون أشقى الناس.

أَلاَ تريد أن تتخلَّص من خطاياك، أَلاَ تريد أن تحيا حياة مقدسة، أَلاَ تريد أن يستضيء ذهنك بالمعرفة الروحية؟ ليس من سبيل إلاَّ أن تأخذ المسيح فيك لتحيا به لأننا لسنا كُفاة من أنفسنا.

إني متعجِّب من ذاتي، كيف أُعطِيَ لي أنا الإنسان الحقير الترابي الخاطئ أن آخذ المسيح فيَّ! آخذه كله في داخلي؟ لستُ أستطيع ولا واحد بمستطيع أن يُفسِّر هذا لأنه فوق الفهم والتفسير. ولكني أومن به فهو إنجيلي، وهو نفسه قال: "خذوا كلوا هذا هو جسدي"!!

إني لستُ أجترئ على شيء ليس هو لي، ولكنه هو الذي قال لي: "خُذ، كُلْ".

آدم أخذ من الشجرة التي قال له الرب لا تأكل منها، فأكل ومات!

وها هو المسيح يقول لي: "خُذ كُلْ لتحيا"، فكيف لا آكل؟؟

"كلوا... اشربوا":

ليست هناك عملية يمكن أن نتحد بها مع المسيح مثل أن نأكله ونشربه! فيتحد الجسد بأجسادنا والدم بدمائنا، وبعدئذ لا شيء في الوجود بمستطيع أن يفصلنا عنه، إذ يكون المسيح قد دخل إلى أعماق أعماقنا.

ما أسهل أن نأكله وما أسهل أن نشربه، وما أصعب أن ننفصل عنه بعد أن نأكله وبعد أن نشربه.

"لمغفرة الخطايا":

هذا هو الجسد والدم الذي حَمَل جميع خطايا العالم، فذابت وتلاشت كما تذوب أوساخ الناس في البحر، والبحرُ كما هو لا يتسخ؛ وكما تموت الميكروبات في أشعة الشمس، والشمسُ باقية لا تتلوث!

إن خطية واحدة قادرة أن تحطِّم حياة الإنسان إلى الأبد، ولكن جميع الخطايا التي اقترفتها البشرية في الأجيال السالفة والتي ستقترفها في الدهور القادمة وُضعت كلها على المسيح، فذابت وتلاشت كما

تتلاشى قطرة الماء على قطعة حديد مُحماة بالنار.

إن مقدار قدرة الجسد والدم على مغفرة الخطايا تجلُّ عن الوصف والتقدير. ولكي نستطيع أن ندرك شيئاً من قوتها علينا أن نتأمل في مقدار الخطايا التي اقترفناها منذ صبانا.

كيف امتلأت أفواهنا بالكذب والرياء والغش، وقلوبنا بالحسد والحقد والغضب والمكر والخداع وأفكار الشر والشهوة والدنس.

نعم، هذه كلها التي نتذكرها والتي لا نتذكرها يستطيع الجسد والدم أن يمحوها مع توبة صادقة. أي مقدرة هذه؟ إني متعجِّب!!

لو أنك شهدت شهادة زور أمام المحكمة وأُخِذ بها وعوقِب المتهم البريء، فإنك لا تستطيع أن تصلح الأخطاء التي حدثت ولا الآثار التي ترتَّبت على هذه الخطية مهما أوتيت من حكمة ومقدرة. ولكن هذه وأعظم منها يستطيع دم المسيح أن يمحوها بكل آثارها.

طوبى للذين «غسَّلوا ثيابهم وبيَّضوا ثيابهم في دم الخروف.» (رؤ ٧: ١٤)

هَلُمَّ يا خطاة، يا مَن أثقلتكم الخطية بقيودها وعاداتها المُرَّة.

هلموا إلى بحر رحمة المسيح وشمس طهارته لتغتسلوا وتتطهَّروا:

+ «إن كانت خطاياكم كالقِرمِز تَبيَضُّ كالثلج. إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف.» (إش ١: ١٨)

"أما يسوع فجلدوه وأسلموه ليُصلَب"

- في هذا اليوم تمَّت جميع النبوَّات والرموز. يوم تكدَّست فيه جميع أنواع المظالم والقسوة ليتم كل المكتوب عنه.

✝❖✝❖✝

كانت محاكمة يسوع والسعي في سفك دمه أموراً تجري بغاية السرعة لأن حقد رؤساء الكهنة والفرِّيسيين عليه كان شديداً، حتى أن كل لحظة تأخير كانت تزعجهم. وكان كل غرضهم أن يتخلَّصوا منه حتى يتفرَّغوا للتمتُّع بالعيد والاحتفال به.

كان سخطهم عليه شديداً لأنه كشف ما بداخلهم لأنفسهم وللناس، فلم يطيقوا رؤيته أو احتمال بقائه.

كانوا قساة ولكنها قسوة مملوءة بالخوف والرعب منه، فأرادوا أن يتأكَّدوا من موته بأنفسهم، ولما مات ظلوا مرتعبين أيضاً لئلا يعود فيقوم كما سبق وقال لهم. كم من معاندين ليسوع المسيح اتَّصفوا بالجرأة والقحة في أساليب مهاجمتهم له ولأولاده في كل العصور، ولكن كان في قلوبهم دائماً رعب من سطوته أشد من رُعبة اليهود الذين قتلوه.

"اصْلِبْهُ، اصْلِبْهُ":

كان الشعب ضحية القيادة العمياء، وكان المال أصل البلاء.

فهؤلاء الذين استقبلوه بأجمل مِمَّا يُستقبل به الملوك، استطاع رؤساء الكهنة بمالهم وسلطان كهنوتهم أن يجعلوهم يصرخون في وجهه: «اصْلِبْهُ، اصْلِبْهُ!» (لو ٢٣: ٢١)

نسوا إحساناته ومواساته. أين معجزاته؟ أين الذين أقامهم من الموت؟ أين الذين شفاهم من البرص والشلل والعَمَى والصَّمَم؟ أين الذين أعتقهم من قيود الشيطان؟ أين الخمسة آلاف الذين أطعمهم في الجبل وأشبعهم من تعاليمه؟ أين تلاميذه؟ أين الشجاع بطرس؟ هربوا، هربوا كلهم! ما أحقر المُثُل والمشاعر التي قدَّمتها البشرية نحو مخلِّصها في يوم آلامه!! ولو كنا نحن في أيامهم لعملنا كما عملوا، وربما أردأ مِمَّا عملوا، لأننا بدونه لا نساوي شيئاً.

"ابْكِينَ على أنفسكُنَّ" (لو ٢٣: ٢٨):

لم يقبل المسيح بكاء النسوة عليه. رفض أن يتقبَّل مشاعر الأسى والحزن نحوه إذ هو «مجروحٌ لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل آثامنا... أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمَّلها، ونحن حسبناه مُصاباً مضروباً من الله ومذلولاً.» (إش ٥٣: ٥و٤)

لم يتألم لأنه كان مُستحقاً للألم، ولم يُصلب من أجل ذنب عمله حتى يتقبَّل تعزية الناس له.

أخشى أن نخطئ في هذا اليوم ونحزن أو نبكي كبكاء النسوة ظانين

أنه تألَّم من أجل نفسه، إنه جيدٌ أن نبكي علىٍ أنفسنا وعلى أولادنا لئلا تكون كل هذه الآلام التي قاساها السيد عبثا، إذ نكون بجهالتنا قد ابتعدنا عنه بقلوبنا، فنُحرَم من المجد الذي أعدَّه لنا بآلامه!

إن كل ضربة وكل إهانة وكل ألم عاناه المسيح على الصليب كان من أجل كل فرد من البشرية في ماضيها وحاضرها، ليرفع عن كل واحد منا الحكم الذي كان لابد أن يوفيه.

إنها لم تكن آلام المسيح في الحقيقة، ولكنها آلامي وآلامك المستحقة علينا. نعم، فلنبكِ على أنفسنا.

"فخرج وهو حاملٌ صليبه" (يو ١٩:١٧):

يوحنا الرسول يوضِّح لنا أن سمعان القيرواني لم يحمل الصليب كل المسافة، إذ قام المسيح بحمل صليبه في الأول، ولما سقط تحت الصليب رفعوه عنه وأعطوه لسمعان القيرواني، لا رحمة بالمسيح، وإنما خوفاً من أن يموت في الطريق فلا يُتمِّمون شهوة حقدهم وغيظهم بصلبه!!

أودُّ لو نتأمل: **لماذا سقط المسيح تحت الصليب؟**

لقد أمضى نصف الليل في جثسيماني في الصلاة، وكان عرقه يتصبَّب كقطرات دم.

ثم جاء يهوذا مع أعوانه وقبضوا عليه وقُدِّم وحوكم أمام مجلس السنهدريم.

ثم ذهبوا به موثقاً لبيلاطس ليُصادِق على الحكم، فاستهزأ به ثم أرسله إلى هيرودس، وبعد فحصه أعاده هيرودس إلى بيلاطس مرة

أخرى، حيث ضغط رؤساء الكهنة على بيلاطس بإثارة الشعب وبتهديده بمكر أنه إذا أطلقه يكون عدوًّا لقيصر! فأسلمه لهم ليُصلب بعد أن هزأ به عساكر الرومان غلاظ القلوب وجلدوه ووضعوا على رأسه إكليل الشوك، حينئذ خرج وهو حاملٌ الصليب!!

كم مرة خار في الطريق؟ لا ندري. كم مرة أُغْمِيَ عليه؟ لا ندري. إنها أُخفِيَت عنا ولم تُذكر لأنها أقسى من أن توصف!!

احملوا هذا الشرف:

نعم، احملوا الصليب. لا أقصد هذه الصلبان الذهبية المتلألئة على صدوركم علامة البذخ والترف، وإنما أقصد صليب الموت!! لأن ليس للصليب معنى إلاَّ الموت.

يسوع المسيح حمل الصليب لأنه كان مستعداً أن يموت عليه.

فكل مَن يحمل الصليب ولا يكون مستعدًّا أن يموت عليه فهو كذَّاب منافق، لم يكذب على الناس وإنما على الصليب.

مَن يحمل الصليب، عليه أن يستعد للموت. ومَن استعد للموت، عليه أن يحتمل آلام الصَّلْب وما قبل الصَّلْب. فقبل أن تحمل الصليب أعدد نفسك للآلام!

طوبى للإنسان الذي لا يخشى الموت، وأسعد منه هو الإنسان الذي مات عن العالم وصَلَبَ أهواءه مع شهواته!

شعر بذلك غريغوريوس الكبير فقال: "وقفت على قمة العالم حينما شعرت في ذاتي أني لا أشتهي شيئاً ولا أخاف شيئاً".

"يا أبتاه اغفر لهم" (لو ٢٣: ٣٤):

هذا هو تاج الصليب أن نُصلَب نحن، ولا نَصلِب أحداً معنا!!

كان لابد أن يقول المسيح هذا ويطلب المغفرة لصالبيه حتى لا يكون في صلبه صلبٌ لأحد، ولا يكون في موته موتٌ لأحد؛ بل يموت هو ليُعطي الحياة لجميع الناس!!

هذا هو الذي قال لنا: «أحِبُّوا أعداءكم. باركوا لاعِنيكم. أحسِنوا إلى مُبغضيكم، وصلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم.» (مت ٥: ٤٤)

احملوا الصليب، يا أحبائي، ولكن أعود فأقول ليس صليب الذهب ذو السلاسل الجميلة؛ ولكن صليب الموت، الموت عن العالم، الصليب ذو الآلام، وذو الصَّفْح والغفران.

- أسبوع البصخة ليس أسبوع آلام عقيمة أو آلام وحسب، بل آلام عبور، آلام فصحية، آلام تأخذ قوتها ونورها ووهجها من دم الحَمَل المذبوح على الصليب. إذن، فسوف نجوز معاً أسبوع آلام، ولكن آلام العبور بقوة دم يسوع من حياةٍ لحياة، ومن إيمان لإيمان.
- إن كل ضربة وكل إهانة وكل ألم عاناه المسيح على الصليب كان من أجل كل فرد من البشرية في ماضيها وحاضرها، ليرفع عن كل واحد منا الحكم الذي كان لابد أن يوفيه. إنها لم تكن آلام المسيح في الحقيقة، ولكنها آلامي وآلامك المستحقة علينا. نعم، فلنبكِ على أنفسنا.

